الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

📖 **قال المؤلف -رحمه الله-: وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠].**

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: (... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ).

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

الشرح:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فالشيخ -رحمه الله- يبين أنواع العبادة المتعلقة بالأصل الأول من الأصول الثلاثة: وهو العلم بالله - عز وجل-، وقد ذكر طرفًا منها، وقد قدمنا أن أمهات العبادات القلبية ثلاثة: وهي المحبة والخوف والرجاء، وهذه المقامات هي التي يحصل بها تحقيق الإيمان وتحصيله والوصول إلى مراد الله - عز وجل-، وينبغي للمؤمن الحصيف أن يعتني بهذه المقامات، وإن مما يؤسف له أن الذين اختطفوا الحديث في هذه الأمور الصوفية، مع أن الأحق بها والأولى هم أهل العلم النبوي الموروث عن محمد -صلى الله عليه وسلم- ولأجل ذا ينبغي لطلبة العلم أن يكون لهم مزيد عناية في الكلام في المقامات القلبية وسياقها سياقًا إيمانيًا خليًا مما أحدثه المبتدعة من الكلام المزخرف الذي يشينها ولا يزينها، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على هذه الأمور، ودرج العلماء على تسمية الكلام فيها باسم السلوك، وأحد مجلدات مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية يقال له: "السلوك"، تكلم فيها على هذه المسائل، ومن أحسن ما يرجع إليه في هذا الباب كتاب "مدارج السالكين في شرح منازل السائرين التي في منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، وإن كان مؤلف الأصل شيخ الإسلام الهروي -رحمه الله- قد شابه لوثة من صوفية إلا أن ابن القيم -رحمه الله- لما شرح ذلك المتن شرحه شرحًا سلفيًا قائمًا على دلالة الكتاب والسنة مدعمًا بالآثار الصالحة عن السلف الصالح موجهًا للعبارات الموهمة والمجملة التي يتناقلها أصحاب الطرق عن بعض من يعظمونهم فحملها على المحمل الحسن، فينبغي لطالب العلم أن يكون له عناية بهذه الأمور كي يصلح قلبه، وقد ذكر الشيخ -رحمه الله- بقية الأمور أو العبادات القلبية؛ فذكر الرغبة، فقال:

ودليلُ الرَّغْبَةِ والرَّهبَةِ والخُشوعِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠].

فقال: ودليل الرغبة والرهبة والخشوع: هذه ثلاث عبادات قلبية، **والمقصود بالرغبة:** المحبة في الوصول إلى المقصود المطلوب هذه هي الرغبة حينما تقول : أرغب في الشيء أي أنك تطلبه، **وأما الرهبة:** فإنها نوع من الخوف لكنه ربما كان خوفًا يقترن به عمل، ويُقال عنه في لغة العصر: عصر الرُهَّاب، فالرهبة نوع من أنواع الخوف كما الخشية أيضًا

كما سيأتي، **وأما الخشوع**: فإنه مأخوذ من قوله انخشعت الأرض كما قال الله -عز وجل- {تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً } [فصلت: ٣٩]، خاشعة أي مطمئنة وهامدة وساكنة {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} [فصلت: ٣٩] ، إذن فالمقصود بالخشوع هو الذل والتطامن، **والخشوع الشرعي**: هو الذل والتطامن لله -عز وجل- فلذلك كان عبادة، وقد جمع هذه المقامات الثلاث قول الله -عز وجل- عن جملة من أنبيائه من المصطفين الأخيار الذين ذكرهم الله- سبحانه وتعالى- في سورة الأنبياء :{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠]. لله درهم { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: ٩٠] ، هؤلاء -أيها الإخوان وأيتها الأخوات- هم الأمثلة، هم النماذج، هم الأسوة الحسنة التي ينبغي للبشرية أن تنسج على منوالها؛ لا أن يُعظم بعض القاصرين الناقصين ويمجدون ويوصفون بالكملة، الكملة حقًا من عباد الله هم أنبياء الله تعالى ومن سار على طريقهم، ولهذا قال تعالى: :{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} [الأنبياء:٩٠]، أي أنهم ليسوا فقط يقتصرون على فعل الخيرات بل فوق ذلك يسارعون، وذلك أن الإيمان إذا حل في القلب كان كالوقود الباعث الذي يدفع صاحبه حثيثًا للوصول إلى مقصوده؛ فلذا تجد أن أهل الإيمان يحفزهم على إيمانهم باعث قوي، ألم تروا أن الله تعالى قد ذكر قصة رجل مؤمن فقال: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى} [يس: ٢٠] ، هذا السعي نابع من امتلائه بالإيمان، فتجد المؤمن حيًّا يقظًا متحركًا بسبب هذه الجدوى التي تعتمل في داخله: { يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا }، إذن هذا دليل الرغبة والرهبة.

وكما قدمنا فإن المؤمن يكون في حال بين الخوف والرجاء بين الرغبة والرهبة، {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً } [الأعراف: ٥٥] {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا } [الأعراف: ٥٦]، هذه حقيقة الإيمان؛ فالخوف والرجاء والرغبة والرهبة يضاف إليهما المحبة والتعلق بالله -عز وجل-: هي أسباب صلاح القلب، ولا يجوز الاقتصار على أحدها وترك الباقي؛ فإن ممن يدعون السلوك من يختاروا خصلة واحدة ويدع ما سواها، فتجد مثلًا من يعبد الله بالخوف وحده، وتجد من يعبد الله بالرجاء وحده، وتجد من يعبد الله بالحب وحده، قال أهل العلم : "من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الموحد".

- فهناك من يعبد الله بالخوف وحده وهذا **حال الحرورية الخوارج** الذين لا يقرؤون إلا نصوص الوعيد ويحجرون رحمة الله تعالى فهم يعبدون الله بالخوف وحده.
- وبإزائهم وبمقابلهم **المرجئة**: الذين يوسعون دائرة الرجاء والأماني ويتعلقون بنصوص الرجاء ويغضون الطرف عن نصوص الخوف.
- وهناك طائفة ثالثة وهم: **"غلاة الصوفية"** الذين يعبدون الله بالحب وحده ويدعون ما سواه حتى إن قائلهم يقول :

ما عبدتك طلبًا لجنتك ولا خوفًا *** من نارك إنما عبدتك محبة لك.

يا سبحان الله إذا كان الخلص من عباد الله يرجون رحمة الله ويخافون عذابه فمن أنت حتى تقول أنا تجاوزت هذا الحد وصرت لا أعبدك لا خوفًا ولا رجاءً،عبدك بالحب وحده هذه زندقة كما قال إمامهم وكبيرهم ابن عربي الطائي الأندلسي:

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه *** فالحب ديني وإيماني.

أما عبادة سيد المرسلين وإمام المتعبدين محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-: فإنه يعبد الله بالحب والخوف والرجاء وسائر أحوال القلوب.

قال: وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠].

الخشية: -كما أسلفت- نوع من الخوف لكنها أخص منه، وذلك أن الخشية خوف مقرون بعلم، فهي نابعة عن علم بالمخوف، وربما كان الخوف أعم قد يخاف الإنسان مما لا يعلمه، إذن فالخشية نوع من الخوف لكنه مصحوب بعلم يدل على ذلك قول الله تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨] ، فخشية العلماء لله تعالى مبنية على علمهم بمقتضى أسمائه وصفاته؛ فلذلك كانت خشية مبصرة، وهذا أعلى وأجل، على أن الخوف أيضًا كذلك من المقامات الإيمانية، وقيل أيضًا: أن الخشية ترجع إلى عظم المخشي، والخوف يرجع إلى ضعف الخائف، هذا من حيث التفريق اللغوي، إذن ذكرنا لكم فرقين:

الفرق الأول: أن الخشية أخص من الخوف لأنها خوف مقرون بعلم.

الفرق الثاني أن يقال: أن الخشية مبنية على عظم المخشي والخوف مبني على ضعف في الخائف، أيًا كان فقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين بالخوف والخشية فقال سبحانه أو أمر الله عباده المؤمنين فقال:{ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي... } الآية [البقرة: ١٥٠]. ، إذن يجب أن نصرف الخشية لله -سبحانه وتعالى- ولا نصرفها لغيره، والمقصود بذلك خشية السر: أي خشية العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله

قال: وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

الإنابة: المقصود بها الرجوع والعود، استدل بقول الله تعالى: { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...} [الزمر: ٥٤] ، معنى وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له أي أقبلوا على ربكم بالتوبة وراجعوه بالطاعة، هذا هو معنى الإنابة، وأسلموا له: أي اخضعوا له وذلك أن الإسلام نوعان: إسلام كوني وإسلام شرعي:

- **أما الإسلام الكوني:** فإنه يشمل جميع الخلائق كما قال الله سبحانه وتعالى: { وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: ٨٣] ، فهذا الإسلام لا يخرج عنه أحد، فما من ذرة من ذرات الكون إلا وهي خاضعة لرب العالمين مستسلمة منقادة له، لا يخرج عن ذلك أحد حتى الكافر هو مسلم على هذا المعنى ؛ لأنه منقاد خاضع لقدر الله الكوني، لا انفكاك له عما يُجريه الله تعالى عليه من أقدار، هذا هو النوع الأول وهو الإسلام الكوني.

- **أما الإسلام الشرعي:** فهو الإسلام الطوعي الاختياري الذي يفعله المرء بمحض اختياره وسبق اصراره، فيمتثل الأوامر ويجتنب النواهي، وهذا هو إسلام المؤمنين، ويتفاوت أهل الإيمان في درجات هذا الإسلام:

فمنهم من يكمل استسلامه لله فلا يعصي الله تعالى في شيء، ومنهم من يثلم إسلامه هذا بنوع معصية لكنه في الأعم الأغلب يكون من جملة المسلمين.

أي هذين النوعين يُحمد صاحبه الكوني أم الشرعي؟ الشرعي لأن الكوني ليس للإنسان فيه دور ولا أثر، وإنما يحمد الإنسان ويرتب الثواب والعقاب على هذا النوع الثاني الذي هو الإسلام الشرعي.

ثم ذكر الاستعانة فقال: وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: (... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ).

الاستعانة: هي طلب العون، والمرء- أيها الإخوة الكرام وأيتها الأخوات الكريمات ضعيف بطبعه {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: ٢٨] فلا غنى له عن مدد خارجي، وهو يحتاج إلى هذه المعونة في أموره الدينية وفي أموره الدنيوية، إذ لا قيام له بنفسه بل لا بد له من مقيم، ولذلك كانت الاستعانة عبادة كما قال الله تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: ٥] حتى العبادة لا بد فيها من معونة الله -عز وجل- وقد قيل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى *** فأول ما يجني عليه اجتهاده.

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في وصيته الرقيقة لمعاذ بن جبل: (يا معاذ إني أحبك إني أعلمك كلمات لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وعلى شكرك وحسن عبادتك)، إذن لا غنى لك أيها المؤمن عن الاستعانة بمعبودك للوصول إلى مقصودك، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- أيضًا: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)، إذن الاستعانة عبادة؛ ولما كانت عبادة لم يجز صرفها لغير الله -عز وجل-، فمن استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد وقع في الشرك الأكبر، أما من استعان بغير الله في أمر يقدر عليه ذلك الغير؛ فذلك ليس شركًا كما تقول لصاحبك مثلًا: أعني على حمل متاعي، أعني على ركوب دابتي، أعني مثلًا على حل هذا الواجب، أعني على إتمام هذا البحث، فإذا طلب المرء المعونة من غيره فيما يقدر عليه ذلك الغير فهذا ليس بشرك، أما من استعان بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله أو استعان بذلك الغير فيما لا يقدر عليه ذلك الغير: كأن يستعين بميت مقبور، أو يستعين بشخص غائب فهذا هو الشرك الأعظم الذي يخرج صاحبه من الملة، **وأما ما سوى ذلك فهو ما بين محمود وما بين مذموم وما بين مباح:**

- فالمحمود منه: التعاون على البر والتقوى كما قال الله تعالى: **{وتعاونوا على البر والتقوى}**، فهذه الاستعانة استعانة محمودة.
- والمذموم منه: ما كان تعاونًا على معصية الله كأن يستعين بصاحبه على تهيئة أمر محرم، فهذا محرم لكن لا يبلغ مبلغ الشرك.
- والمباح منه: ما جرت به عادة الناس من تخادمهم فيما بينهم.

- وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.